

يموت العالم.. والعالم يفوته

- د. معراج أحمد الندوي¹

في زمن كورونا يكثر الرحيل، ويخفّ الحمل الثقيل، فالموت سفر كامل، سفر آخر من هذه الدنيا الفانية. تفيدنا جائحة الكورونا درساً بأنّ الشجر أطول عمراً من البشر على وجه الأرض المعمورة. يرحل الراحلون، فيصيبنا رحيلهم بالحزن والألم، بالدهشة والخيرة، يذكّرنا رحيلهم أنه ليس البقاء إلاّ لله العليّ الحكيم.

وكلّ إنسان وإن عاش سنين طويلة، لا محيص له من الموت، فالرحيل عن الدنيا يقصّ علينا قصة الموت التي نتحاشى أن نسمعها ويسرد لنا الحكاية التي لا نكتبها، وهذه هي الحقيقة التي لا نذكرها كثيراً ولكننا في قرارة أنفسنا لا ننكرها، الموت المفاجأة الوحيدة التي تظلّ مفاجأة مؤلمة لا تتغير.

رحل صباح اليوم الأستاذ الفاروقي من هذه الدنيا الفانية وترك خلفه آثاراً وذكريات، ومضاتٍ ولمسات، غير أنّ كلماته وذكرياته وحكاياته ورائحته لا تموت فينا، وتبقى رائحته العطرة في قلوبنا.

كان الأستاذ الفاروقي مثلاً للسلف الصالح بعبه وزهده وتقواه، وكان المعلم الشفوق كما كان قلبه الكبير الذي يخفق بالحبّ حتى لمن أساء إليه، كان هو الإنسان المتواضع، مثله لا يموت لأنه باقٍ في أعماق قلوبنا.

لقد كرّس حياته في ترويح اللغة العربية وآدابها تدريساً وتأليفاً وبذل كلّ ما وسعه في نشر الثقافة العربية والإسلامية في الهند، كان مربياً للأجيال في العلوم والفنون، ورمزاً من مدرسة سلفنا الصالح، حافظ على تلك الروح الخالصة من غزارة العلم

¹ أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عالية، كولكاتا، بنغال الغربية

والتبحر ودقة النظر في القضايا العلمية واللغوية.

ومن سماته البارزة أنه كان يحفظ عن ظهر القلب كثيراً من الشعر العربي والأردني والفارسي، له اليد الطولى في فهم الشعر العربي القديم والنقد الأدبي، وكان يروي في محاضراته الكثير من قصائد المتنبي في الحكمة والفلسفة ثم يقارنه بالآيات الأوردية التي قرضاها الشاعر الأردني غالب في نفس المعنى والمفهوم. كان يحاول الأستاذ الفاروقي أن يجدد فن العروض ويربي عليه طلابه في المشهد الأدبي.

واليوم أقلعت جائحة الكورونا الشجرة الخصبية المثمرة التي كان يستظلها الطلاب حين أغارت عليهم المشكلات العلمية واللغوية، وهو يسمع بكل هدوء ثم يجيب في ضوء التيار العلمي الجديد. فقدنا اليوم أستاذاً جسدياً ولكن ذكرياته ولمساته وجهوده لغرس القيم النبيلة تبقى فينا وتعطر نفوسنا.

الموت هو الرحلة الوحيدة والأخيرة التي لا تحتاج إلى دليل أو خارطة كي نصل إلى محطتها. الموت هو السبيل، لا بد أن نسلكها طوعاً أو كرهاً. يذكّرنا الراحل الفقيد الأستاذ فيضان الله الفاروقي أن تتأمل عن الحياة من قلب الموت حتى نحى راضين واثقين ونرحل بطمأنينة القلب مبتهجين بلقاء الله.¹

¹ مع الشكر للهندية، 22/ يوليو 2020 م